تهـــامـــة

مجلة علمية – أكاديمية – محكمة – نصف سنوية – تصدر عن جامعة الحديدة

ISSN:2710-1282 (Online)
ISSN:2710-1290 (Print)
www.tehama-journal.com

العدد السادس عشر (يوليو – ديسمبر ٢٠٢٢م)

الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحديدة
مركز التطوير وضمان الجودة

التوجهات الاستراتيجية
لجامعة الحديدة 2025م

رؤية الجامعة

نحو بيئة تعليمية وبحثية متميزة تلبي متطلبات سوق العمل واحتياجات التنمية الشاملة.

رسالة الجامعة

تقديم تعليم عال متميز يلبي احتياجات التنمية ويحقق المعايير الاكاديمية من خلال قيادة مؤسسية، وبرامج تعليمية نوعية مجودة، وبيئة تعليمية محفزة، وكوادر أكاديمية محترفة، وشراكة مجتمعية فاعلة.

قيم الجامعة

(التميز والابداع، الولاء المؤسسي، التعليم المستمر، الشراكة المؤسسية، العمل بروح الفريق، أخلاقيات المهنة).

الأهداف الاستراتيجية:

١- تعزيز نظم الحوكمة والقيادة الجامعية المؤسسية، وترسيخ اللامركزية، وممارسة مبادئ الجودة والشفافية والمساءلة.
٢- تطوير البرامج الأكاديمية ومقرراتها الدراسية بما يلبي المعايير الوطنية ومتطلبات الاعتماد الأكاديمي.
٣- تحقيق الاستقرار الوظيفي للكوادر الاكاديمية والإدارية المتميزة من خلال الحوافز المادية والمعنوية، وبرامج التنمية المهنية والتعليم المستمر.
٤- إعداد كوادر متخصصة ومتميزة تلبي احتياجات سوق العمل، وقادرة على المنافسة محلياً وإقليمياً.
٥- تهيئة بيئة ملائمة لتطوير البحث العلمي، وبناء القدرات البحثية، لتسهم في حل المشكلات المجتمعية، وتحقيق التنمية الوطنية الشاملة المرتبطة بالاقتصاد المعرفي.
٦- تنويع مصادر التمويل بما يسهم في إعادة إعمار البنية التحتية وتجهيزاتها المعملية، ومصادر المعلومات وتقنياتها.
٧- تفعيل الشراكة المؤسسية بين الجامعة والمؤسسات والهيئات والجهات ذات العلاقة محلياً واقليمياً ودولياً.

تهـــامـــة

مجلة علمية أكاديمية مُحكّمة نصف سنوية

تصدرها نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الحديدة – الجمهورية اليمنية.

تصدر مرتين في العام، تخاطب الأساتذة والهيئات العلمية الجامعية، وتهتم بنشر الدراسات والبحوث العلمية الأكاديمية ذات المستوى الرفيع في مجالات الأدب واللغة والفنون والعلوم التطبيقية.

البحوث والدراسات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة التحرير.

حقوق الطبع محفوظة لجامعة الحديدة، ولا يجوز نسخ المجلة لأغراض تجارية، كما لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه إلا بعد الحصول على موافقة خطية من رئيس التحرير.

التبادل والإهداءات: توجه الطلبات باسم سكرتير التحرير
توجه المراسلات باسم سكرتير التحرير عبر إيميل المجلة أو عبر العنوان البريدي
الجمهورية اليمنية – جامعة الحديدة – نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي – مجلة تهامة

ص.ب (٣١١٤)
البريد الإلكتروني: info@tehama-journal.com
الموقع الإلكتروني: www.tehama-journal.com

المشرف العام

أ.د . محمد أحمد أمين الأهدل

رئيس الجامعة

رئيس التحرير

أ.د. محمد حمد محمد بلغيث

نائب رئيس الجامعة

للدراسات العليا والبحث العلمي

مدير التحرير

د. عبدالله محمد أحمد النهاري

عميد مركز التطوير وضمان الجودة

المراجعة اللغوية للغة الانجليزية

د. سمير أحمد الحمادي

المراجعة اللغوية للغة العربية

أ.م.د. يوسف حسن العجيلي

سكرتير التحرير

د/ عارف علي عبدالله الصغير

المراجعة الفنية والتصميم والاخراج والتنفيذ

د.ذي يزن عبده محمد الرمانة

مدير عام الدراسات العليا

Thoyazan8@yahoo.com

الهيئة الاستشارية:

أ.د/ عز الدين حسن معاد- نائب رئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية.

أ.د/ بدر إسماعيل عبدالرزاق- أستاذ الكيمياء- كلية التربية بالحديدة.

أ.د/ علي محمد علي الناشري- أستاذ التاريخ القديم- كلية الآداب.

أ.د/ علي سيف المشرقي- أستاذ الإخراج التلفزيوني والمسرحي- كلية الفنون الجميلة.

أ.د/ عباس محمد عبده الخذفي- أستاذ الهندسة البترولية- جامعة حضرموت.

أ.د/ العجال محمد عدالة- أستاذ وعميد كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة مستغانم- الجزائر.

أ.د/ يحيى إبراهيم قاسم الفقيه- أستاذ اللغويات – كلية الآداب.

أ.د/ محمد رضا مبارك- أستاذ الأدب والنقد- جامعة بغداد- العراق.

أ.د/ محمد طاهر عبدالرحمن معجم- أستاذ هندسة تكرير النفط والغاز- كلية الهندسة.

أ.م.د/ طاهر علي الرشاحي- أستاذ علوم الحاسوب المشارك- كلية علوم وهندسة الحاسوب.

أ.م.د/ عبد العزيز عبد الهادي العامري- أستاذ الإدارة التربوية المشارك- جامعة حجة.

هيئة تحرير المجلة:

أ.د/ علي بناوي جذع الزبيدي- أستاذ علوم الحياة- عميد كلية الهندسة.

أ.د/ عزي أحمد فقيه- أستاذ العلوم البيئية – عميد كلية الزراعة.

أ..د/ أحمد محمد قاسم مذكور- أستاذ التفسير وعلوم القرآن – كلية التربية بالحديدة

أ.م.د/ أحمد عزي صغير شاوش- أستاذ الأدب والنقد المشارك – كلية التربية زبيد

أ.م.د/ أفراح عبده أحمد الهيثمي- أستاذ قانون المرافعات المشارك- كلية الشريعة والقانون.

أ.م.د/ أحمد محسن عثمان القدسي- أستاذ الأحياء الدقيقة المشارك- كلية الطب والعلوم الصحية

أ.م.د/ جلال أحمد عبدالله العسكري- أستاذ الصناعات الغذائية المشارك- كلية الهندسة.

د/ جميل راشد سلمان- أستاذ هندسة الحاسوب المساعد- كلية علوم وهندسة الحاسوب.

محتـــويات الـعـــدد

الصفحة	الـمـوضـوع	الباحث
٧	قواعد النشر	هيئة التحرير
٨	الافتتاحية	المشرف العام
٩	التَّصْوِير النَّفْسِي في القُرآنِ الكَرِيمِ	أ.م.د. أمير فاضل سعد قائد
٣٤	دور استراتيجيات إدارة الموارد البشرية في تحسين الأداء الوظيفي من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط: دراسة ميدانية على مستشفى الأمل العربي بمحافظة الحديدة	د.علي صالح علي الأعجم
٧١	الأفعال الكلامية في خُطبة منذر بن سعيد البَلّوطِي-دراسة تداولية	د. ناجية سليمان إبراهيم سليمان
٩٣	تأثير التدريب بأسلوب المقتربات الخططية الهجومية على تنمية بعض القدرات البدنية والمهارية للاعبي كرة اليد	د. خالد علي أحمد البرعي
١٢٤	حرية الزواج في رواية "النَّدم المتَأخر على الماضي" لـ(لو شيون). مقاربة أدبية ثقافية	أ. إدريس درهم محمد علي
١٤٦	أثر الأحكام الفقهية في تعزيز العلاقات الاجتماعية في العبادات " نماذج تطبيقية "	أ. أحمد محمد حسن القطافي
١٨١	معتمد ذوي العقول المنتزع من جامع الأصول للعلامة محمد بن يحي بن بهران، (ت:٩٥٧هـ) كتاب الفرائض. (دراســة وتحقيـــق)	أ. يحيى علي إبراهيم حيمر
1	Assessment of Population Awareness Regarding Obesity in Al-Hodeidah City, Yemen – 2022	Dr. Sadeq Alwesabi Dr. Mohammed Suhil Dr. Radman Al-Nahary Dr. Abdulaziz Baalwi Dr. Ali Floos

قواعد النشر

- أن يكون البحث جديداً، ولم يسبق نشره في أية وسيلة من وسائل النشر.
- أن يمثل البحث إضافة علمية واضحة، سواءٌ أكانت نظرية أم تطبيقية.
- أن يتبع الباحث آليات البحث العلمي وأساليبه المعتبرة.
- أن يقدم الباحث سيرته الذاتية.
- يقدم الباحث نسخة إلكترونية من البحث بصيغة (Word) يرسل عبرالبريد الإلكتروني للمجلة: info@tehama-journal.com مدون عليه عنوان البحث، واسم الباحث/ الباحثين، مع توضيح الرتبة العلمية والوظيفة الحالية ، والتلفون والبريد الإلكتروني، باللغتين العربية والإنجليزية.
- يقدم الباحث مستلخصا باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة يتضمن (موضوع البحث ، وأهدافه، ومنهجه، وأبرز النتائج والتوصيات، وكلمات مفتاحية لاتزيدعن خمس كلمات).
- يجب مراعاة الإشارة إلى ترتيب المراجع وفق أسبقية ورودها في البحث، وأن تكون كتابة المصادر والمراجع باللغة العربية، واللغة الإجنبية إن وجدت.
- يكتب عنون البحث مع بيانات الباحث بخط (SKR HEAD1)، ويستخدم خط (Lotus Linotype) للكتابة باللغة العربية، بحجم (١٤) للمتن، وبحجم (١٠) للحواشـــي، وخط (Times New Roman) للكتابة باللغة الإنجليزية بحجم (١٢) مع كتابة العناوين بخط غامق، وأن يكون الخط في الجداول إن وجدت بحجم (١٠)، والتباعد بين الأسطر مفرد.
- تكتب الحواشي أسفل كل صفحة مرقمة ترقيما مستمراً.
- تخطيط الصفحة: الورق : (العرض:سم١٧)، (الارتفاع: ٢٥سم)، الهوامش: ٢سم من جميع الجهات ماعدا الهامش الأيمن ٢,٥سم)، هامش التوثيق: صفر.
- لغة النشر في المجلة هي اللغة العربية أو الإنجليزية، وألا يتجاوز حجم البحث عن ثلاثين صفحة، و ما زاد عن ذلك تُدفع رسوم إضافية (٥٠٠) ريال يمني عن كل صفحة.
- تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم السري، وفي حالة اتفاق آراء اثنين من المحكمين على قبول النشر يقبل البحث للنشر بعد إجراء التعديلات المطلوبة.
- الباحث مسؤول عن صحة البيانات والنتائج والاستنتاجات الواردة في البحث ودقتها.
- يمكن الحصـــول على مجلـة تهـامـة من قســم التبـادل في مكتبـة جـامعـة الحـديـدة مقـابـل مبلغ (١٠٠٠ ريال) للنسخة الواحدة، أو تحميل قالب المجلة المنسق من موقع المجلة.
- يحصل الباحث على نسختين ورقية من العدد الذي نشر فيه بحثه مع مستلة إلكترونية.
- رسـوم التحكيم والنشـر: (٢٠٠٠٠) ريالاً يمنياً للباحثين اليمنيين، و(١٥٠$) للباحثين من خارج اليمن أو ما يعادلها بالريال اليمني.
- الاشتراك السنوي:
  - داخل اليمن: للأفراد (١٠٠٠ ريال)، للمؤسسات (٢٠٠٠ ريال).
  - في الوطن العربي : (١٥$).
  - في البلدان الأخرى: (٢٠$). يشمل بدل الاشتراك أجور البريد.

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد...

يأتي هذا العدد من مجلة تهامة العلمية المحكمة ليشكل تحولاً استثنائياً ضرورياً؛ لكونه متزامناً مع ما تمر به بلادنا الحبيبة وأمتنا العربية والإسلامية من أحداث جسام.

فها هي مجلة تهامة تواصل بريقها العلمي متمثلاً في العدد السادس عشر الذي يأتي تواصلاً مع الإصدارات السابقة، واستجابة لأهمية البحث العلمي، ودوره في ترصين عمل الجامعة الأكاديمي والعلمي؛ حيث يُقاس نجاح الجامعة بإرساء قواعد البحث العلمي، وبقدرتها على التأثير والتغيير في محيطها، وإيصال رسالتها العلمية لكل العالم، إيماناً منها بأن البحث العلمي يظل نوراً يشع في أحلك الظروف، يسكب الأمل في نفوس البشرية، ويجدد الحياة.

ويصدر هذا العدد متزامناً مع احتفالات شعبنا اليمني العظيم بعيد الاستقلال المجيد بإجلاء آخر جندي بريطاني من جنوب الوطن في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

إن هذا العدد ليس إصداراً نمطياً، وإنما تنوعت فيه موضوعات البحوث العلمية؛ فاشتمل على بحوث في مجال العلوم الإنسانية، وعلى بحوث في مجال العلوم الطبيعية، فهو لسان حال الباحثين الذين تنوعت أبحاثهم. وسنظل حريصين على أن تستمر مجلة تهامة العلمية الأكاديمية المحكمة في أداء رسالتها في المجالات العلمية والبحثية ونشر كل جديد من البحوث العلمية والابتكارات الجديدة في شتى مجالات العلوم الإنسانية والطبيعية والتقنيات الحديثة التي تساعد على تحريك عجلة التنمية ونهوض الأوطان وازدهارها.

نأمل أن يكون هذا العدد حافزاً للباحثين سواءٌ، أكانوا في داخل اليمن أم خارجه على المشاركة والإسهام بإنتاجهم العلمي؛ ليكون رافداً من روافد هذا النهر المتجدد المتنوع، ودعوة لإثراء المعرفة، وتنشيطها، وتدعيمها بما يكتبه الباحثون.

وفي الأخير لابد أن أقدم الشكر لكل من أسهم في تأسيس هذه المجلة، وللقائمين عليها، وأخص بالذكر كل من أسهم في صدورها؛ لتظل منارة للعلم والعلماء، يستنير بها أعضاء هيئة التدريس وطلبة العلم والمعرفة في جامعة الحديدة والجامعات الأخرى، والباحثون في مراكز الأبحاث العلمية.

والله الموفق،،،

أ.د. محمد أحمد أمين الأهدل

المشرف العام

رئيس الجامعة

الأفعال الكلامية
في خُطبة منذر بن سعيد البَلُّوطِي-دراسة تداولية

د. ناجية سليمان إبراهيم سليمان
أستاذ الأدب الأندلسي المساعد- جامعة بنغازي، ليبيا
Drnajeeha123@gmail.com

الملخص:

يسعى البحث إلى بيان البعد التداولي في ضوء تجليّات الأفعال الكلامية في خُطبة منذر بن سعيد البَلُّوطِي -التي ألقاها أمام الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم-؛ وذلك من خلال رصد أبعادها اللغوية التواصلية، وعلاقتها بالدلالةِ المقاميَّةِ، وقصديَّة منتجِ الخطابِ، وأثرُها في تقويةِ الدلالةِ وتحديدِها في الخطاب، والكشف عن دور الأفعال الكلاميّة في إفهام المعنى الذي أراد المتكلّم إيصاله إلى المتلقين، وقد اعتمد البحث على المنهج التداولي في دراسة ذلك.

وخلص البحث إلى أن الأفعال الكلامية لم ترد عفواً في النصّ المدروس، بل كانت مقصودَة من الخطيب لتوظيفها في الإقناع والتأثير في المخاطَبين، والإشارة إلى تغيير الواقع والحال.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، التداولية، الخطابة، الأندلسي، منذر بن سعيد البَلُّوطِي.

Abstract:

The research seeks to explain the deliberative dimension in light of the manifestations of verbal acts in the sermon of Munther bin Saeed al-Baluti - delivered to the Andalusian caliph Abdul Rahman al-Nasir for the religion of God in celebration of the arrival of the apostles of the King of the Romans -; By monitoring their communicative linguistic dimensions, their relationship to the maxim, the intentionality of the speech product, their effect on strengthening and defining the connotation in the speech, and revealing the role of verbal acts in understanding the meaning the speaker wanted to convey to the recipients. The research adopted the deliberative approach in studying this.

The research concluded that verbal acts were not pardoned in the thoughtful text, but were intended by the preacher to employ them in persuading and influencing the addressees, pointing to changing reality and the situation.

Keywords: verbal, deliberative, oratory, Andalusian, Munther bin Said al-Balouti.

المقدمة:

تُعَدُّ التداولية من أحدث المناهج الحديثة التي عنيت بتحليل الخطاب، فهي"منهجٌ لساني يدرس الكيفية التي يصدر بها المخاطبون فعلًا تواصليًّا، أو فعلًا كلاميّا، يأتي على شكل حوار أو محادثة، كما يهتم بالأسباب التي تتظافر؛ لتؤدي إلى نجاح المتحاورين أثناء إجراء التخاطب، فالتداولية علمٌ يهتم بعلاقة اللغة بمستعمليها، بهدف إرساء مبادئ الحوار، في علاقته الوثيقة مع المقام الذي ينتج فيه الكلام"[١]، ولهذا فالتداولية "فرعٌ من فروع علم اللغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ودراسة معناه؛ لأن المتكلم كثيرًا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته"[٢].

وتكمن أهمية البحث في كون ملفوظات الخطاب الأدبي لا يمكن رصد حركتها إلا بارتباطها بمقتضيات العملية التواصلية، ونظرًا لهذه الأهمية تولّدت لديّ رغبة في دراسة الأفعال الكلامية في خُطبة منذر بن سعيد البَلُّوطِي -التي ألقاها أمام الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله[٣]

(١) مدلل، نجاح. التحليل النصي التداولي للخطاب الشعري "شعر عز الدين مهيوبي أنموذجًا"، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر. د. ت، ص٩٤.

(٢) ينظر: مدور، محمد. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة)، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، د. ت، ص١٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد، تلقب بالناصر لدين الله، وكان يكنى أبا المطرف، ولد سنة ٢٧٧ هـ، وأمه أم ولد اسمها مزنة. ولِّي الخلافة وعمره اثنتان وعشرون سنة، وكانت ولايته من المستطرف؛ لأنه كان في هذا الوقت شاباً، وبالحضرة جماعة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه، وذوى القعدد في النسب من أهل بيته، فلم يعترض معترض، واستمر له الأمر، وكان شهماً صارما، ولم يزل منذ ولى يستنزل المتغلبين حتى استكمل إنزال جميعهم في خمس وعشرين سنة من ولايته، وصار جميع أقطار الأندلس في طاعته، فخضع له كل حكام أوروبا آنذاك، ثم اتصلت ولايته إلى أن مات في صدر رمضان سنة خمسين وثلاث مائة، ولم يبلغ أحد من بني أمية من الولاية مدته فيها، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين في عهد الدولة الاموية في بألاندلس، ويعد عصره من العصور الذهبية للأندلس، واشتهرت قرطبة وجامعتها الشهيرة في زمانه بمنارة العلم والعلماء، وامتد حكمه إلى خمسين عاماً. ينظر: الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص١٢، ١٣. و قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: " وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَغْزُو حَتَّى أَقَامَ العِوَجَ، وَمَهَّدَ البِلاَدَ، وَوَضَعَ العَدْلَ، وَكَثُرَ الأَمْنُ، ثُمَّ بَعَثَ جَيْشاً إِلَى المَغْرِبِ، فَغزَا برْغْوَاطَة بِنَاحِيَةِ سَلاَ، وَلَمْ تَزَلْ كَلِمَتُهُ نَافَذَةً، وَسِجِلْمَاسَةَ، وَجَمِيْعَ بِلاَدِ القِبْلَةِ، وَقُتِلَ ابْنُ حَفْصُوْنَ. وَصَارَتِ الأَنْدَلُسُ أَقْوَى مَا كَانَتْ وَأَحْسَنَهَا حَالاً، وَصَفَا وَجْهُهُ لِلرُّوْمِ، وَشَنَّ الغَارَاتِ عَلَى العَدُوِّ، وَغزَا بِنَفْسِهِ بِلاَدَ الرُّوْمِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَدَوَّخَهُم، وَوَضَعَ عَلَيْهِم الخِرَاجَ، وَدَانَتْ لَهُ مُلُوْكُهَا، فَكَانَ فِيْمَا شَرَطَ عَلَيْهِم اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ يَصْنَعُوْنَ فِي بِنَاءِ الزَّهْرَاءِ الَّتِي أَقَامَهَا لِسُكْنَاهُ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ قُرْطُبَةَ. وَسَاق إِلَيْهَا أَنْهَاراً، وَنَقَبَ لَهَا الجَبَلَ، وَأَنْشَأَهَا مُدَوَّرَةً، وَعِدَّةُ أَبْرَاجِهَا ثلاثمائة بُرْجٍ، وَشُرُفَاتُهَا مِنْ حَجَرٍ وَاحِدٍ، وَقَسَّمَهَا أَثْلاَثاً: فَالثُّلُثُ المُسْنَدُ إِلَى الجَبَلِ: قُصُوْرُهُ، وَالثُّلُثُ الثَّانِي: دُوْرُ المَمَالِيْكِ وَالخَدَمِ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ، يَرْكَبُوْنَ لِرُكُوْبِه، وَالثُّلُثُ الثَّالِثُ: بَسَاتِيْنُ تَحْتَ القُصُوْرِ. وَعَمِلَ مَجْلِساً مُشْرِفاً عَلَى البَسَاتِيْنِ، صَفَّحَ عُمُدَهُ بِالذَّهَبِ، وَرَصَّعَهُ بِاليَاقُوْتِ وَالزُّمُرُّدِ، وَاللُّؤْلُؤِ، وَفَرَشَهُ بِمَنْقُوْشِ الرُّخَامِ،

في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم؛ وذلك من خلال رصد أبعادها اللغوية التواصلية، وعلاقتها بالدلالةِ المقاميَّةِ، وقصديَّة منتجِ الخطابِ، وأثرُها في تقويةِ الدلالةِ وتحديدِها في الخطاب، والكشف عن دور الأفعال الكلاميّة في إفهام المعنى الذي أراد المتكلّم إيصاله إلى المتلقين؛ ذلك أن الأفعال الكلامية من أهم المفاهيم الأساسية للتحليل التداولي للخطاب، إذ تحتل موقعًا متميزًا، وتُشَكِّل جزءًا أساسيًّا من البنية النظرية للتداولية، وهي النواة المركزية لها.

ومما شجعني على اختيار الموضوع عدم عثوري على بحثٍ درسَ خُطبة منذر بن سعيد البَلُّوطِي دراسةً تداولية حسب اطلاعي المتواضع، وبحثي في أوعية المعلومات والمصادر المطبوعة أو الإلكترونية وغيرها.

أما مشكلة البحث فتكمن في عدِّ النص اللغوي خطابًا تواصليًّا، يدل عليه قصد المتكلم، فيحقق غايات معينة في الواقع والمجتمع من خلال عناصر لغوية خاصة؛ ولأن النص كذلك فإنه يمكن لأي نصّ أدبي أن يُدْرسَ دراسةً تداولية، وعليه فإن البحث يهدف إلى بيان البعد التداولي في ضوء تجليّات الأفعال الكلامية في خُطبة منذر بن سعيد البَلُّوطِي -التي ألقاها أمام الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم، ذاكراً فيها حق الخلافة وفرض الطاعة، وقد اعتمد البحث المنهج التداولي، ولذا اقتضت طبيعة موضوع البحث التركيز على الأفعال الكلامية، وفق تقسيم سيرل لها: الإخباريات، والتوجيهات، والوعديات، والإيقاعيات، لأهميتها في ذلك.

أولا: التعريف بالمفاهيم:

أ) مفهوم التداولية:

في اللغة: جاء في المعاجم اللغوية "تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّوَل، وقالوا: دواليك، أي مداولة في الأمر، ودالتْ الأيام، أي دارتْ، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي، أي أخذته هذه مرة،

وَصَنَعَ قُدَّامَهُ بَحْرَةً مُسْتَدِيرَةً ملأها زئبقًا، فكانت النُّوْرُ يَنْعَكِسُ مِنْهُ إِلَى المَجْلِسِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَاضِيْهِ مُنْذِرُ بنُ سَعِيْدٍ البَلُّوْطِيُّ، فَوَقَفَ، وَقَرَأَ: {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ} [الزخرف: ٣٣، ٣٤] الآيتين، فَقَالَ: وَعَظتُ أَبَا الحَكَمِ. ثُمَّ قَامَ عَنِ المَجْلِسِ، وَأَمَرَ بِنَزْعِ الذَّهَبِ وَالجَوَاهِر". الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ٧/ ٢٨٨

وهذه مرة"[١]، والتداول "هو حصول الشيء في يد هذا مرة، وفي يد الآخر أخرى، و تداولوه وأجروه بينهم، وهو يدل على شهرته ودورانه"[٢].

والتداولية "مصطلح مركبٌ من وحدتين، إحداهما معجمية (تداول)، والأخرى صرفيّة (يَّة)، دلالة على مصدر صناعي، والدال والواو واللام في اللغة أصلان أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكان آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء"[٣].

وفي الاصطلاح: يُعرّف (جورج يول) التداولية بأنّها "دراسة الفعل الإنساني القصدي، فهي تنطوي على تفسير أفعال يفترض القيام بها لإنجاز غرض معيّن، وبناء على هذا ينبغي على المفاهيم المركزية في التداولية أن تتضمّن اعتقاداً وقصداً وخطة وفعلاً"[٤].

وتُعرّف بأنها "منهجٌ لساني يدرس الكيفية التي يصدر بها المخاطبون فعلًا تواصليًّا، أو فعلًا كلاميّا، يأتي على شكل حوار أو محادثة، كما يهتم بالأسباب التي تتظافر؛ لتؤدي إلى نجاح المتحاورين أثناء إجراء التخاطب، فالتداولية علمٌ يهتم بعلاقة اللغة بمستعمليها، بهدف إرساء مبادئ الحوار، في علاقته الوثيقة مع المقام الذي ينتج فيه الكلام"[٥]، ولهذا فالتداولية "فرعٌ من فروع علم اللغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ودراسة معناه؛ لأن المتكلم كثيرًا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته"[٦].

ويُعرّف مسعود صحراوي التداولية أو ما أسماه بالتيار التداولي تعريفًا واضحًا بقوله: هو منهج لساني، يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق استخدام العلامات اللغوية وكيفياتها بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية[٧].

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ، مادة (د و ل)، ١١/ ٢٥٢

(٢) ينظر: الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط، مادة (د و ل).

(٣) ختّام، جواد. التداولية أصولها واتجاهاتها. دار كنوز المعرفة للنشر، ط١، ٢٠١٦م، ص١٤.

(٤) بول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم/ ناشرو، د. ط، لبنان، ٢٠١٠م، ص١٣٧.

(٥) مدلل، نجاح. التحليل النصي التداولي للخطاب الشعري. مرجع سابق، ص٩٤.

(٦) ينظر: مدور، محمد. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، (سورة البقرة)، مرجع سابق، ص١٨.

(٧) صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، ٢٠٠٨م، ص٥٠.

وللتداولية تعريفات عدّة يصعب حصرها هنا، لأن المقام لا يتسع لذكرها، فهي ليست علماً لغوياً محضاً، يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، لكنها علم جديد للتواصل، يدرس اللغة في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشروعات معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"[١]. ولذا فإن جميع تعريفات التداولية ترتبط بفكرة الاستعمال، أو دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفتها الإنجازية التي ترددت في معظمها، وعليه فإن أقرب تعريفات التداولية إلى أنفسنا، وأوجزها، هو الذي يرى أن التداولية "دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد مادي واجتماعي ولغوي، وصولًا إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما"[٢].

ب) مفهوم الفعل الكلامي:

ترد تعريفات عدة لمصطلح الفعل الكلامي، ومنها على سبيل المثال تعريف (جون أوستن) الذي مفاده أن الفعل الكلامي هو "الفعل المؤسس من قبل متكلم يتمتع بصلاحيات معينة"[٣]، وتعريف (دومينيك منغنو)، الذي يرى أن الفعل الكلامي هو "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه: أمر، طلب، تصريح، وعد،... غايته تغيير حال المتخاطبين، وأن التلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلّا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل التلفظ"[٤]، وكذلك تعريف مسعود صحراوي، إذ يذكر أن الفعل الكلامي هو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي وتأثيري، وفضلاً عن ذلك يعد نشاطاً ماديًّا نحويًّا يتوسل أفعالاً قوليةً لتحقيق أغراض إنجازية، (كالطلب والوعد والوعيد...إلخ)، وغايات تأثيريّة تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيًّا ومؤسساتيًّا ومن ثم إنجاز شيء ما"[٥].

(١) صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) نحلة، محمد أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، ٢٠٠٢م. ص١٣، ١٤.

(٣) صحراوي، مسعود. الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٤م، ص٨٣.

(٤) دومينيك منغنو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م، ص٧.

(٥) صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص٤١.

والفعل الكلامي يعني "التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، و من ثمّ فالفعل الكلامي يُراد به الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها أفعال كلامية"(١).

ويتبين لنا من التعريفات السابقة أنه لكي يتحقق الفعل الكلامي لا بد من القصد، وضرورة وجود حدث ينجز من أجله.

ج) مفهوم الخطبة:

الخُطبة لغةً: مصدر خَطبَ، يُقَال: خَطَبَ الخاطبُ على المِنْبَرِ خَطابَةً، بالفتح، وخُطْبَةً، بالضم، وهي الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّعُ ونحوهُ. ورجلٌ خَطيبٌ: حَسَنُ الخُطْبَة، بالضم(٢)، ويُقَال: "خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا، وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْخُطْبَةِ -بِضَمِّ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا- بِاخْتِلَافِ مَعْنَيَيْنِ، فَيُقَالُ فِي الْمَوْعِظَةِ: خَطَبَ الْقَوْمَ، وَعَلَيْهِمْ مِنْ بَابِ قَتَلَ، خُطْبَةً –بِالضَّمِّ- وَهِيَ فُعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ ... وَجَمْعُهَا خُطَبٌ،... فَهُوَ خَطِيبٌ، وَالْجَمْعُ الْخُطَبَاءُ، وَهُوَ خَطِيبُ الْقَوْمِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمُتَكَلِّمَ عَنْهُمْ"(٣).

وجاء في حلية الفقهاء: "وأمَّا الخُطْبَةُ، فاشْتِقاقُها مِن المُخاطبة، ولا تكونُ المخاطبةُ إلاَّ بالكلامِ بين المتُخاطَبين، وقال قومٌ: إنَّما سُمِّيَتْ الخُطْبَةُ؛ لأنهم كانوا لا يَجْعلونَها إلاَّ في الخَطْبِ والأمْرِ العظيم، فلهذا سُمِّيَتْ خُطْبَةً"(٤).

والخُطبة اصطلاحاً "فنُ مشافهة الجمهور، وإقناعه، واستمالته"(٥)، أي أنها فنٌّ لساني يلقى على جمهور السامعين، لإعلامهم بأمر معين يخصّهم، وإقناعهم به(٦)، وهي كذلك "الكلام المؤلف

(١) صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، المرجع السابق،ص١١.

(٢) الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م، مادة (خطب).

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، مادة (خطب).

(٤) القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء. حلية الفقهاء. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص٨٧.

(٥) الحوفي،أحمد. فن الخطابـة. دار الفكر العربي، ط٤، د.ت، ص٥.

(٦) ينظر: شلبي، عبد العاطي محمد. و : عبد المقصود، عبد المعطي. الخطابة الإسلامية. المكتب الجامعي الحديث، د.ط، ٢٠٠٦م، ص١١.

المُتضمِّن وعظًا وإبلاغًا"[١]، وعُرِّفتْ -أيضاً- بأنها "قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم"[٢].

ثانياً: التعريف بالخَطيْب القاضي منذربن سعيد البَلُّوطِي:

هو منذر بن سعيد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلّطي الكزني القرطبي، ويكنَّى أبا الحكم، وينسب في البربر إلى فخذ منهم يقال له كزنة[٣]، وهو من موضع فحص البلوط[٤] الذي يبعد عن قرطبة بمرحلتين أو ثلاث[٥]، وكان يسكنه البربر وأكثر أرضهم شجر البلوط[٦]، وقد اختلف في سنة ولادته، فذكر كلٌّ من ابن الفرضي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس)، وابن خاقان في كتابه (مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس) أنه ولد سنة ٢٧٣هـ[٧]، وهو الأصح، وأرخ ابن سعيد ولادته في سنة ٢٦٥هـ[٨]، وورد عند ابن خلدون أنه ولد سنة ٣١٠هـ[٩].

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. تحرير ألفاظ التنبيه. تحقيق: عبد الغني الدقر . دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨، ص٨٤.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين . كتاب التعريفات. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط!، لبنان ، ١٩٨٣م، ص٩٩ .

(٣) ينظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي. تاريخ علماء الأندلس "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس"، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٤٠٤ .

(٤) ينظر: الضبّي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج٢، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص٦٢٠.

(٥) ينظر: .الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٩م، ١٩٨٤م، ص٤٣٥ .

(٦) ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان، ج١، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٧٧م، ص٤٩٢.

(٧) ينظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي. تاريخ علماء الأندلس "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، مرجع سايق، ص٤٠٥، وكذلك ينظر: ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله الإشبيلي. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٩٨٣ م، ص ٢٣٨ .

(٨) ينظر: المقري، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، تحقيق: إحسان عباس، ، دار صادر، بيروت، د. ط، ٢٠٠٤م، ص٣٧٢ .

(٩) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن مُحمَّد. ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٦، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د. ط، ٢٠٠٠م، ص١٣٨.

وكان منذر بن سعيد البلوطي متفننًا في ضروب العلوم، "عالماً فقيهاً، وأديباً بليغاً، وشاعراً محسناً، وخطيباً على المنابر، وفي المحافل مصقعاً"[١]، لم يسمع في الأندلس أخطب منه من القضاة، وكان قاضياً عادلاً، حريصاً على تطبيق العدل والدفاع من أجله، وقد ولّي قضاءات كثيرة منها مثلاً قضاء ماردة وما والاها، ثم قضاء الثغور الشرقية، ثم قضاء الجماعة في قرطبة زمن الخليفة الناصر لدين الله، وابنه الحكم المستنصر بالله[٢]، وحاول منذر بن سعيد الاستعفاء مراراً من الحكم، إلا أنه أصر على إقراره في القضاء، فلبث قاضيًا إلى أن توفى، فما حفظ له جور في قضية، ولا هوادة بسبب غاية، وكان قوالا للحق لا يخاف في الله لومة لائم، بليغ الموعظة، كبير الشأن[٣]، متواضعا، وأكثر تواضعه كان لأهل العلم، فإذا بحثتَ عنه بينهم، وجدته في انحطاط إليهم، وإقبال عليهم[٤]، ومن ذلك على سبيل المثال رحلته لطلب السماع التي سمع فيها كتاب العين للخليل بن أحمد من ابن ولاد في مصر، وكتاب الإشراف عن أبي بكر بن المنذر، وقد روى عنه عبد الله بن محمد بن عبد

(١) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٢)الحكم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد، ويلقب بالمستنصر بالله، ويكنى أبا العاص، ولد سنة ٣٠٢هـ، وتوفى سنة ٣٦٦ هـ، أمه أم ولد اسمها مرجان. ولّي الخلافة وعمره سبع وأربعون سنة، وكان عصره امتدادًا لفترة زهو الدولة الأموية في الأندلس الذي بدأ في عهد أبيه. وَكَانَ حَسَنَ السِّيْرَةِ، جَامِعاً لِلْعِلْوم، محباً لها، مُكْرِماً لِلأَفَاضِلِ، كَبِيْرَ القَدْرِ، ذَا نَهْمَةٍ مُفْرِطَةٍ فِي العِلْمِ وَالفَضَائِلِ، عَاكِفاً عَلَى المُطَالَعَةِ. جَمَعَ مِنَ الكُتُبِ مَا لَمْ يَجْمَعْه أَحَدٌ مِنَ المُلُوْكِ، لاَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ، وَتَطَلَّبَهَا، وَبَذَلَ فِي أَثْمَانِهَا الأَمْوَالَ، وَاشْتُرِيَتْ لَهُ مِنَ البِلاَدِ البَعِيْدَةِ بِأَغْلَى الأَثْمَانِ، مَعَ صَفَاءِ السَّرِيْرَةِ وَالعَقلِ وَالكَرَمِ، وَتَقْرِيْبِ العُلَمَاءِ. وَمِن مَحَاسِنِه: أَنَّهُ شَدَّدَ فِي مَمْلَكَتِهِ فِي إِبْطَالِ الخُمُوْرِ تَشْدِيْداً عَظِيْماً. وقال اليَسَعُ بنُ حَزْمٍ: كَانَ الحَكَمُ عَالِماً، رَاوِيَةً لِلْحَدِيْثِ، فَطِناً، وَرِعاً. وَفِي دَوْلَةِ الحَكَمِ هَمَّتِ الرُّوْمُ بِأَخْذِ مَوَاضِعَ مِنَ الثُّغُوْرِ، فَقَوَّاهَا بِالمَالِ وَالجُيُوْشِ، وَغَزَا بِنَفْسِهِ، وَزَادَ فِي القَطِيْعَةِ عَلَى الرُّوْمِ، وَأَذَلَّهُم. وَكَانَ مَوْتُهُ بِالفَالِجِ، فِي صفر، سنة ست وستين وثلاثمائة. وَخَلَّفَ وَلَداً، وَهُوَ هِشَامٌ، فَأُقِيْمَ فِي الخِلاَفَةِ بِتَدبِيْرِ الوَزِيْرِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ القَحْطَانِيّ. ينظر: الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، مرجع سابق، ص١٣. وينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٨٨/٧

(٣) ينظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (سلسلة ذخائر العرب ٥٠)، د. ط، د. ت، ص٢٩٥، وكذلك ينظر: الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. مرجع سابق، ص٣٤٧، ٣٤٨، وينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، د. ط، ١٤١٥ هـ، ٦١/ص٢٣١.

(٤) ينظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج. طبقات النحويين واللغويين. مرجع سابق،ص٢٩٥ .

الرحمن بن أسد الجهني، وأحمد بن قاسم التاهرتي، ومن مؤلفاته كتابا الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله، والإبانة عن حقائق أصول الديانة.

ثالثاً: نصّ الخطبة

قال القاضي منذر بن سعيد البَلُّوطِي في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم أمام الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله، بعد أن وَصَلَ افتتاح أبي عليّ القالي-ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق- لأول خطبته بكلام كان يَسُحه سَحًّا، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة[1]:

"أما بعد حمد الله، والثناء عليه، والتَّعْدَاد لآلائه، والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيّه، وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقامًا، ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم، فأَصغُوا إليَّ معشر الملأ بأسماعكم، وأتقِنوا عني بأفئدتكم، إن من الحق أن يقال للمُحِقّ صدقت، وللمُبطل كذبت، وإن الجليل تعالى في سمائه، وتقدَّس في صفاته وأسمائه، أمر كَلِيمه موسى -صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه- أن يذكِّر قومه بأيام الله جل وعز عندهم، وفيه وفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة، وإني أذكِّركم بأيام الله عندكم، وتَلَافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين، التي لَمَّت شَعْثَكم، وأمنت سِرْبكم، ورفعت قوتكم، بعد أن كنتم قليلًا فكَّثركم، ومستضعفين فقوَّاكم، ومستذَلِّين فنصركم، ولَّاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم، أيام ضَرَبتْ الفتنة سُرَادِقها على الآفاق، وأحاطت بكم شُعَل النفاق، حتى صرتم في مثل حَدَقة البعير، ومن ضيق الحال، ونكد العيش والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء، وانتقلتم بيُمْن سياسته إلى تمهيد كَنَف العافية بعد استيطان البلاء.

أنشُدُكم بالله معاشر الملأ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقَنها، والسُّبُل مَخُوفة فأمَّنها، والأموال منتهبَة فأحرزها وحصَّنَها؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها، وثغور المسلمين مُهْتَضَمة فحماها ونصرها؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم، وشفى صدوركم، وصِرْتُم يدًا على عدوكم، بعد أن كان بَأْسُكم بينكم.

فأنْشُدُكم الله، ألم تكن خلافته قُفْل الفتنة بعد انطلاقها من عِقالها؟ ألم يَتَلَاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها؟ ولم يَكِل ذلك إلى القوَّاد والأجناد حتى باشره بالقوَّة والمُهْجَة والأولاد، واعتزل النِّسْوان، وهجر الأوطان، ورَفَض الدَّعة، وهي محبوبة، وترك الرُّكون إلى الراحة، وهي مطلوبة بطويَّة صحيحة، وعزيمة صريحة، وبصيرة ثابتة، نافذة ثاقبة، وريح هابَّة غالبة، ونصرة من الله واقعة واجبة، وسلطان قاهر، وجِدّ ظاهر، وسيف منصور، تحت عدل مشهور، متحمِّلا للنَّصَب،

(١) صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. د.ط، د.ت، ١٦٩/٣.

مستقلا لما ناله في جانب الله من التعب، حتى لانت الأحوال بعد شدتها، وانكسرت شوكة الفتنة عند حِدَّتها، ولم يبق لها غاربٌ إلا جَبَّه، ولا نَجَم لأهلها قرن إلا جَدَّه، فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا، وبَلَمِّ أمير المؤمنين لشَعَثِكم على أعدائه أعوانًا، حتى تواترت لديكم الفتوحات، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم، وآمال الأَقْصَيْن والأَدْنَيْن مستخدمة إليه وإليكم، يأتون من كل فجٍّ عميق، وبلد سحيق؛ لأخذ حبل بينه وبينكم جُملةً وتفصيلا، ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا، ولن يُخْلِف الله وعده، ولهذا الأمر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة بادية، تدل على أحوال باطنة خافية، دليلها قائم، وجِفْنُها غير نائم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[1]، وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب، ولكل نبإ مستقر، ولكل أجل كتاب. فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه، واسألوه المزيد من نعمائه، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين -أيده الله بالعِصْمة والسداد، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد- أحسنَ الناس حالًا، وأنعمهم بالًا، وأعزهم قرارًا، وأمنعهم دارًا، وأكثَفهم جمعًا، وأجملهم صنعًا، لا تهاجون ولا تُذادون، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم، وابن عم نبيكم -صلى الله عليه وسلم- فإن من نزع يده من الطاعة، وسعى في تفريق الجماعة، ومَرَقَ من الدين، فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

وقد علمتم أن في التعلق بعِصْمَتها، والتمسك بعُرْوَتِها، حفظَ الأموال، وحقن الدماء، وصلاح الخاصة والدَّهْمَاء، وأن بدوام الطاعة تقام الحدود، وتوفَّى العهود، وبها وُصِلت الأرحام، ووَضَحت الأحكام، وبها سد الله الخلل، وأمَّن السبل، ووطَّأَ الأكناف، ورفع الاختلاف، وبها طاب لكم القرار، واطمأنت بكم الدار، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به، فإنه تبارك وتعالى يقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2]، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، وصنوف المُلْحِدِين الساعين في شقّ عصاكم، وتفريق مَلَئِكم، والأخذ في مخاذلة دينكم، وهَتْكِ حريمكم، وتوهين دعوة نبيكم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى جميع النبيين والمرسلين، أقول قولي هذا، وأختم بالحمد لله رب العالمين، مستغفرًا الله الغفور الرحيم، فهو خير الغافرين"[3].

(١) سورة النور: الآية: ٥٥.

(٢) سورة النساء: الآية: ٥٩.

(٣)صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. مرجع سابق، ٣/٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣.

ثالثاً: الأفعال الكلامية في خطبة منذربن سعيد:

يُعدّ الفعل الكلامي "أداة إجرائية فعّالة في تقسيم الظاهرة الإنشائية وتمييزها من الخبرية، إذ إنه المنجز بوساطة الكلام، وقد تلعب الأفعال الكلامية دور تحويل معتقدات المتخاطبين من جهة، واستمرارية الخطاب بين أطرافه من جهة أخرى؛ لأن أقوال المتكلم تبنى على ما قاله المخاطب، وكل قول يخضع لمضمون القول السابق والافتراضات والتأويلات التي يحتويها"(١)، وتقوم أفعال الكلام عند جون سيرل على ثلاثة أسس منهجية، هي: الغرض الإنجازي للفعل الكلامي، واتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، وشرط الأخلاق في صدق المتكلم ورغبته في تأدية الفعل الكلامي، وانطلاقاً منها فرق بين خمس مجموعات كبرى للأفعال الكلامية، وهي: الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والتصريحيات(٢)، وقد شكّلت بعض هذه الأفعال الكلامية في خطبة منذر بن سعيد البَلُّوطِي النواة المركزية للخطاب التداولي، إذ ذكر فيها من خلال هذه الأفعال الكلامية حق الخلافة، وفرض الطاعة لأمير المؤمنين، وسوف نتناولها بالتحليل وفق تقسيم جون سيرل وتصنيفه لها، على النحو الآتي:

١) الأفعال الكلامية: الإخباريّات

هي أولى التّصنيفات السيرليّة، ويُطلق عليها أيضاً التمثيليّات، والتأكيديات، وأفعال الإثبات أو التقريريّات، وهدفها تعهد المتكلم بأن شيئاً ما هو الحقيقة، ولذا فهي التي تختص بنقل المتكلم لأحواله وأخباره عن طريق تركيزه على قضية ما تجعله مسؤولاً عما يقول(٣)، فالإخباريات تُقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالة موجودة في العالم(٤)، ويكون ذا صيغة صادقة، أو كاذبة، وأمثلة هذا النوع من الأفعال الكلامية في خطبة ابن سعيد البَلُّوطِي ما يأتي:

- قوله: "إن لكل حادثة مقامًا، ولكل مقام مقال":

فعل كلامي، تتكون حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية، وهي: الإخبار والتقرير، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميّا، وهي: تأكيد الإخبار بأنّ لكل حادثة مقامًا، ولكل مقام مقال، إذ أقرّ

(١) ينظر: بلخير، عمر. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٣م ، ص١٩٣.

(٢) ينظر: جودي، حمدي منصور. بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج(مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر، .بسكرة، العدد الأول، ديسمبر 2013 م، ص103 ، وكذلك ينظر: بلخير، عمر. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٣) ينظر: نحلة، محمد أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مرجع سابق، ص٥٠، ٥١.

(٤) ينظر: سيرل، جون. العقل واللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٦م، ص١١٧.

الخطيب/المتكلّم من خلاله حقيقة لا يجهلها كثير من الناس عامة، والمخاطبون أهل زمانه خاصة، وهي أنه ليس كل كلام يصلح قوله في أي وقت، فلكل مقام أو موقف ما يناسبه من قول أو فعل، فجاءت هذه الجملة الخبرية مؤكدة بالأداة (إنَّ)، التي أفادت تأكيد الفعل الكلامي، الذي يشير إلى ما يفرضه واقع الحال على الخطيب/المتكلّم، والهدف الذى يريد إيصاله للمتلقين/المخاطبين، المتمثّلُ في أحقية أمير المؤمنين الناصر لدين الله بالخلافة والطاعة المفروضة الواجبة.

- وقوله: "وليس بعد الحق إلا الضلال":

فعل كلامي، تتكون حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية، وهي: الإخبار والتقرير، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميّا، وهي: تأكيد الإخبار بأنّ العقل لا يتصوَّر إلا الحقَّ أو الضلالَ، ونفي ما دون ذلك، بدلالة أن (بعد) في الآية الكريمة استُعملت بمعنى (غير)، ثم إن الخطيب/المتكلّم يريد أن يخبر المتلقين/المخاطبين من خلال الفعل الكلامي بأنه لا يوجد غير الحق شيء يتبع سوى الضلال، و هم على دراية بذلك وعلمٍ، فمن ترك الحق منهم وهو طاعة الله ورسوله، وولي أمرهم الخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله وقع في الباطل والضلال، و خسر الدنيا والآخرة، ويؤكد ذلك الأفعال الكلامية التالية في قوله:

"فإن من نزع يده من الطاعة، وسعى في تفريق الجماعة، ومَرَقَ من الدين، فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين".

إذ يبدو من ظاهر فعل القَول هنا أنه لا يوجد ما يدل على مخاطب بعينه، ومن ثم لا مناص لنا من التَّعويل على السياق الخارجي؛ لأنه الوحيد الذي يدلنا على المخاطب هنا وهو أهل زمان الخطيب دون سواهم، والقوة الإنجازية لهذه الأفعال الإخباريّة في هذا الخطاب هي إثبات حقيقة واقعية يحكمها العقل والمنطق، وتقريرها أو ترسيخها، ومفادها أن كل من ردع نفسه عن طاعة الله ورسوله، وولي الأمر الخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله، وارتكب الآثام والمحرمات، ومَرَقَ من الدين، خسرَ الدنيا والآخرة خسراناً مبيناً، فهذه الأفعال وما تحمله من قوة إنجازية يمكن عدُّها شواهد يبرهن الخطيب بها على صدق ما يقرره .

- وقوله: "إن من الحق أن يقال للمُحقِّ صدقت، وللمُبطل كذبت، وإن الجليل تعالى في سمائه، وتقدَّس في صفاته وأسمائه، أمرَ كَلِيمه موسى -صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه- أن يُذكِّر قومه بأيام الله جل وعز عندهم، وفيه وفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة".

بدأ الخطيب/المتكلّم نصه بأفعال كلامية إخبارية نقلت إلى المتلقين حال الخليفة العادل المسلم الملتزم بمبادئ الإسلام وقيمه بصورة صادقة، أفادت الإعلام بكل وضوح من خلال وصف

الدين الإسلامي بالحق الذي يصف كل شخص بما يناسبه من الأوصاف، فالمُحق يقال له صدقت، والمُبطل يقال له كذبت، إضافة إلى أنها أخبرت بوضوح وبصورة صادقة عن واقعة دينيّة، وهي تكليم الله موسى بأن يُذكِّر قومه بأيام الله؛ أي الأيام التي مرت عليهم في ظل استعباد فرعون لهم، وأيضاً أيام نعم الله عليهم حين نجاتهم من فرعون، وإنزال المن والسلوى، وفي ذلك إشارة عامة إلى الزمن الماضي زمن موسى عليه السلام، ورسالته لقومه، وتذكيرهم بنِعَمِ الله ونِقَمِهِ، وإشارة نصيَّة إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1]، عدا عما في تلك الأفعال الكلامية من قصدية في توجيه الخطاب للمتلقين بأن يأخذوا–أيضاً- العظة والعبرة من الأمم والأقوام السابقين في تلك الأزمنة، وما وقع فيها من عقاب على من لم يلتزم بأوامر الله ورسله، وهذا مكمن قوة الأفعال القولية الإنجازية، فالزمن الماضي (صدقت، كذبت أَمَرَ) كما هو معلوم لدى المتكلِّم والمتلقي يفيد تقرير الحقائق، وقد كان الخطيب/المتكلّم صادقاً في إبلاغ هذه الحقائق، والفعل التأثيري الناتج عن الأفعال القولية هو حملُ الخطيبِ المتلقين على الإقرار بما أثبته، وذلك بوجوب اتباع الحق في كل أمور الدنيا والآخرة، واتباع ما جاء به الرُسل عليهم الصلاة والسلام، فهم القدوة الحسنة.

- ومن الأفعال القولية الإخبارية ما جاء وصفاً لخلافة أمير المؤمنين: "أذكركم بخلافة أمير المؤمنين التي لَمَّت شَعْثَكم، وأمنت سِرْبكم، ورفعتْ قوتكم، بعد أن كنتم قليلًا فكَّثركم، ومستضعفين فقوَّاكم، ومستذَلِّين فنصركم، ولَّاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم، أيام ضَرَبتْ الفتنة سُرَادِقها على الآفاق، وأحاطت بكم شُعَل النفاق، حتى صرتم في مثل حَدَقة البعير، ومن ضيق الحال، ونكد العيش والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء، وانتقلتم بيُمْن سياسته إلى تمهيد كَنَف العافية بعد استيطان البلاء".

فالفعل القولي (إنّي أذكركم بخلافة أمير المؤمنين)، جاء في سياق جمل خبرية تقريرية إخبارية وصفية، وتتمثل قوته الإنجازية في تأكيد الإخبار عن الخلافة وترسيخ حُجَّها في نفوس المخاطبين، وإقناعهم بها، ووصف ما كان عليه حال المجتمع الأندلسي قبل الخلافة وبعدها، فيبدأ الخطيب بأداة التوكيد (إنَّ)، لإفادة تحَقق الفعل الكلامي، وتثبيته في نفس المخاطبين، وهو التذكير بخلافة أمير المؤمنين ووصف فضائلها، وما أحدثته من تغيير في واقع المجتمع الأندلسي و حالهم، من خلال الاسم الموصول (التي)، وما تشير إليه الأفعال الماضية (لَمَّت، وأمنت، ورفعتْ، أحاط، استبدلتم، انتقلتم)، التي تفيد التقرير، وتتضمن حقائق صادقة، وذلك تأكيد لبيان الموصوف، وكأن الخطيب/المتكلّم في ذلك توقع سؤالاً من المخاطبين: أيَّة خلافة؟ فأجاب بالاسم الموصول (التي)،

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

وبالأفعال الماضية لزيادة الإيضاح والتبيين، وغرض الخطيب/المتكلّم من ذلك هو التأثير في المخاطبين ليدركوا ما هم فيه من استقرار ورفاهية في العيش تحت ظل خلافة الناصر لدين الله، وليقارنوا ذلك بما كانوا عليه من الفتن والاضطرابات، وضيق الحال، ونكد العيش، واستيطان البلاء، حتى أصبح ضيق حالهم وحياتهم كحَدَقة البعير.

- وقوله: "جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم، وشفى صدوركم، وصِرْتُم يدًا على عدوكم، بعد أن كان بَأْسُكم بينكم".

يتضمن فعلاً كلامياً، تنطوي حمولته الدلالية على قوة إنجازية حرفية، قوامها الإخبار والتقرير، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميّاً، جريانها تأكيد الإخبار عما أحدثته خلافة أمير المؤمنين الناصر لدين الله في الناس من لمِّ الشَّمل، ودرء الفرقة، وتوحيد الكلمة، ولذا ينبغي على المتلقين/المستمعين الالتزام بتقدير ولي الأمر وطاعته، فبالطاعة كما يقول الخطيب: "وُصِلت الأرحام، ووَضَحت الأحكام، وبها سد الله الخلل، وأمَّن السبل، ووطَّأَ الأكناف، ورفعَ الاختلاف، وبها طاب لكم القرار، واطمأنت بكم الدار".

٢) الأفعال الكلامية: التّوجيهيات

تُسمّى الأمريات، أو الطلبيّات، وهي أحد أنواع أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون في مخاطبة الآخر توجيهاً، أو أمراً، أو نهياً، أو طلباً، أو نصحاً، أو دعوة، أو ترجياً، أو استعطافاً...إلخ، والتأثير عليه، ويمكن للمخاطب/ المستمع/ المتلقي الخضوع لها وطاعتها، أو استنكارها وإهمالها، وغرضها الإنجازي توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين(١)، ومن أمثلة ذلك في خطبة منذر البلوطي ما يأتي:

- قوله: "فاصغُوا إليَّ معشر المَلأ بأسماعكم، وأتقِنوا عني بأفئدتكم":

فالخطيب يحاول من خلال الأفعال الكلامية: (اصغُوا- أتقِنوا- أسلوب النداء: معشر المَلأ) توجيه المخاطبين/ المتلقين/ المستمعين إلى الإصغاء إليه بكل حواسهم وأحاسيسهم، للاستماع لما سيقوله، وفَهمه.

- وقوله: "أنشُدُكم بالله معاشر الملأ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقَنها، والسُّبُل مَخُوفة فأمَّنها، والأموال منتهبَة فأحرزها وحصَّنَها؟ ألم تكن البلاد خراباً فعَمَّرَهَا، وثغور المسلمين مُهْتَضَمة فحماها ونصرها؟ فأنْشُدُكم الله، ألم تكن خلافته قُفْل الفتنة بعد انطلاقها من عِقالها؟ ألم يَتَلَاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها؟".

(١) ينظر: نحلة، محمد أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مرجع سابق، ص٥٠، ٥١.

بدأ الخطيب/المتكلّم بالفعل الطلبي (أنشُدُكم بالله)، المعبر عن فعل إنجازي تتكون حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية، هي: الترجي، والاستعطاف، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميّاً، وهي: تأكيد الطلب، واستعطاف المخاطبين، الذين ناداهم بـ: (معاشر الملأ)- بالله، وما ذكر معنى الاستعطاف قبل النداء إلا مبالغة في الاستعداد والتنبيه لسماع ما سيوجّهه الخطيب/المتكلّم للمخاطبين/ المتلقين من تساؤلاتٍ، الغرض منها تذكيرهم بوقائع جرت لهم قبل خلافة الناصر، وأحداث مؤسفة عاشوها أيام ضربت الفتنة سُرَادِقها على الآفاق، وذلك من خلال الاستفهام التعجبي (ألم...)، الذي يعبر عن فعل كلامي متضمن في القول وهو إنكار النفي، وتقرير المنفي، وغرض الخطيب/المتكلّم من ذلك إقناع المخاطبين/ المتلقين- وهم على دراية وعلمٍ- بما قام به الخليفة من حقن الدماء، وحفظ الأموال والحقوق، واستعادة ما نهب منها، وعمارة البلاد الأندلسية بعد أن كانت خراباً، وحمايتها، وحماية ثغور المسلمين، وقلاعهم، ونصرتهم، وتذكير أولئك المخاطبين بأن خلافة الناصر لدين الله أغلقت أبواب الفتنة والأهواء بين المسلمين، وأصلح بنفسه أحوالهم التي أفسدتها.

ويورد الخطيب منذر بن سعيد البلوطي جملة من الأفعال الكلامية التي تصف الخليفة الناصر، وما قام به من أجل رعيّته أبناء الأندلس، في قوله:

"فلم يَكِل ذلك إلى القوَّاد والأجناد حتى باشره بالقوَّة والمُهْجَة والأولاد، واعتزل النِّسْوان، وهجر الأوطان، ورَفَض الدَّعة، وهي محبوبة، وترك الرُّكون إلى الراحة، وهي مطلوبة بطويَّة صحيحة، وعزيمة صريحة، وبصيرة ثابتة، نافذة ثاقبة، وريح هابَّة غالبة، ونصرة من الله واقعة واجبة، وسلطان قاهر، وجِدّ ظاهر، وسيف منصور، تحت عدل مشهور، متحمّلاً للنَّصَب، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب، حتى لانت الأحوال بعد شدتها، وانكسرت شوكة الفتنة عند حِدَّتها، ولم يبق لها غاربٌ إلا جَبَّه، ولا نَجَم لأهلها قرن إلا جَدَّه، فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا، وبَلَمِّ أمير المؤمنين لشَعَثِكم على أعدائه أعوانًا، حتى تواترت لديكم الفتوحات، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم، وآمال الأَقْصَيْن والأَدْنَيْن مستخدمة إليه وإليكم، يأتون من كل فجٍّ عميق، وبلد سحيق؛ لأخذ حبل بينه وبينكم جُملةً وتفصيلا"، فالخطيب/المتكلّم أنجز في هذا النص جملاً إخبارية تحمل قوة إنجازية تقريرية، بيَّنتْ حقيقة أخلاق الخليفة، وسياسته في توطيد دعائم الخلافة، وإطفاء نار الفتنة، وكسر شوكتها، ونشر الأمن والأمان، وإعلاء راية الحق، والعدل، والمساواة، ونبذ الجُور والظلم، وقد أولى الخطيب/المتكلّم عنايته بالأفعال الكلامية الخبرية، لتحقيق قصده، وإنجاز هدفه الخطابي، وهو لفت انتباه المخاطبين/ المتلقين إلى أن الخليفة لم يألُ جهداً في خدمتهم، وخدمة الدولة الأندلسية.

ثم إنّ تكرار الأفعال الكلامية كـ: (أنشُدُكم بالله)، و(معاشر الملأ - ومعشر الملأ) أسهم في تحقيق الغاية التي قصدها الخطيب/المتكلّم إلى جانب الإقناع، وهي النصح والوعظ، وتذكير المخاطبين بعظم شأن الخليفة وقوته، وعلو كعبه، وشجاعته التي يهابها الأعداء الأقوياء ومنهم الروم، وكأن الخطيب/المتكلّم يريد إيصال تأكيد عظمة الدولة الأندلسية، وعظمة خليفة المسلمين فيها لأذهان وفد الروم، وهي تُعد من نعم الله وآلائه التي مَنَّ بها عليهم، ما استوجب أن يأتي الخطيب بالأفعال الأمرية، وقوتها الإنجازية: (فاحمدوا الله- واسألوه.. واستعينوا- واعتصموا- وَأَطِيعُوا)، وذلك في قوله:

"فاحمدوا الله -أيها الناس- على آلائه، واسألوه المزيد من نعمائه، واستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم، واعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به، فإنه تبارك وتعالى يقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(١)".

فهنا ترسّخ الأفعال الكلامية الأمرية بقوتها الإنجازية المستلزمة مقاميّاً في الناس -إلى جانب الإرشاد والنصح والدعاء- خُلُقَ الحمد والشكر لله على عميم نعمه، والشكر للآخر، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، وكذلك خُلُق ذكر النِّعم، والمحافظة عليها، والقيام بحقوقها مسلكاً لا تلفظاً باللسان فقط، وعن ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٢)، و: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٣)، وخُلُق المناصحة، والتزام طاعة اللَّهَ ، وطاعة رسوله، وطاعة الخليفة وليّ الأمر، وأمير المؤمنين، والاعتصام بما أمر الله به: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(٤)، والقصد الذي يريده الخطيب/المتكلّم من ذلك هو دفع المخاطبين/المتلقين إلى التمسّك بالقيم الدينية العليا، واتخاذها شعاراً لهم في كل أمورهم.

ويعد النداء الذي جاء جملة اعتراضية في قوله: "فاحمدوا الله -أيها الناس- على آلائه" محفزاً للمخاطب/ المتلقي، ومنبهاً له تنبيهاً يفيد غرض التأكيد، كما يعد مدخلاً للأفعال الكلامية التي جاءت بعده؛ لأنها هي الهدف المقصود من الخطاب، ولذا فالنداء وسيلة يتوصل بها لتبليغ التوجيهات.

(١) سورة النساء: الآية: ٥٩.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: ٧.

(٣) سورة الضحى: الآية: ١١.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٠٣.

٣) الأفعال الكلامية: الوعديّات

وتُسمّى الالتزاميات، وغرضها الإنجازي التزام الخطيب/المتكلم بإحداث فعل ما مستقبلاً[١]، ومن أمثلة ذلك في خطبة منذر بن سعيد البلوطي ما يأتي:

تبرز الأفعال الكلامية في قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[٢]، فالأفعال الكلامية في الآية الكريمة: (وَعَدَ- لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ-لَيُمَكِّنَنَّ-لَيُبَدِّلَنَّهُمْ)، تتكون حمولتها الدلالية من قوى إنجازية حرفية، وهي: الوعد والترغيب، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميّاً تكمن في تأكيد الوعد والبشارة، وتحقق الوقوع.

وفي قول منذر بن سعيد البلوطي: "فإن من نزع يده من الطاعة، وسعى في تفريق الجماعة، ومَرَقَ من الدين، فقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين"، ففي هذا النص غرض الفعل الكلامي إنجازي، ويتمثّل في فعل الوعد بأن من ترك طاعة الله ورسوله وولي الأمر خسر الدنيا والآخرة، وهذه الأفعال وما تحمله من قوة إنجازية تمثّلتْ في الوعيد والتهديد يمكن عدُّها شواهد يبرهن الخطيب بها على صدق ما وعد به؛ لأنه موقنٌ بتحقيق ذلك، وحدوثه مستقبلاً عند الله عزّ وجلّ؛ ولأنه استقاه من حقيقة يؤمن بها هو ومتلقيه، وهي القرآن الكريم، فالله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[٣]، والفعل التأثيري هو جعل المتلقي يتجنب المعصية، ويلزم طاعة الله لينال الفوز في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٤) الأفعال الكلامية: الإيقاعيات

وتُسمّى التصريحيات، وهي تتميز بأنّ نجاحها يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي (الواقع)، وتمثّلها أفعال الشعائر والأحكام، والقرارات، وإعلان الحروب، وما في حكمها [٤].

وقد أنجز الخطيب منذر بن سعيد البلوطي في خطبته (النص الخطابي) منذ البداية فعلاً كلاميّاً إيقاعيّاً، تمثّل في إعلان الحمد لله، والثناء عليه، والتَّعْدَاد لآلائه، والشكر لنعمائه، والصلاة

(١) ينظر: نحلة، محمد أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مرجع سابق، ص٥٠، ٥١.

(٢) سورة النور: الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحج: الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) ينظر: نحلة، محمد أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مرجع سابق، ص٥٠، ٥١.

والسلام على محمد صفيّه، وخاتم أنبيائه، موقناً بإيمان صادق، وملتزماً بذلك منذ تلفظه إلى حين موته، والغرض الإنجازي للقول هو توثيق الصلة بينه وبين ربه، وملازمة ذلك إلى أن يتوفاه.

ونجد فعلاً إيقاعيّاً في هذا النص الخطابي عند تلفظ الخطيب/المتكلّم بقوله: "وإني قد قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم"، إذ أعلن من خلاله القيام في مقام كريم، وبين يدي ملك عظيم، ليلقي خطبته، فبدأ الخطاب بأداة التوكيد :(إنّ) و(قد) التي أدت غرضاً تداوليّاً إنجازيّاً، تمثّل في لفت الانتباه، وتأكيد القيام، وتحققه بين يدي الخليفة، الذي ربما لم يكن في نظره أهلاً لأنْ يقف خطيباً في تلك المناسبة والاحتفال البهيج، إذ أصبح خطيبَ الخليفة بعد ذلك، وعلت مكانته الخطابية على خطباء صقع الأندلس قاطبة، وتفرد بالبراعة فيها إلى وفاته، وكذلك يظهر فعل إيقاعي آخر في قوله: "وإني أذكّركم بأيام الله "، فالخطيب/المتكلّم يعلن أنه سيظل يذكر الناس بأيام الله، وتعْدَاد أفضاله، وسابغ خيراته إلى أن يتوفاه، فهو فقيه واعظ ناصح الناس بالخيرات، ناهٍ عن المنكرات.

الخاتمة:

ختاماً تمثّلتْ نتائج البحث في الآتي:

- إن الأفعال الكلامية لم ترد عفوًا في النصّ المدروس، بل كانت مقصودَة من الخطيب في توظيفها لإقناع المخاطبين، والتأثير فيهم، والإشارة إلى تغيير الواقع والحال.

- تضمّن النص الخطابي الأفعال الكلامية الأربعة: (الإخباريات، التوجيهيات، الالتزاميات، التصريحيات)، وخلا من الأفعال الكلامية: التعبيريات.

- شكّلت الأفعال الكلامية: الإخباريات، والتوجيهيات في خطبة منذر بن سعيد البَلُّوطِي النواة المركزية للخطاب التداولي، إذ كان جُلُّ محمولاتها اللغوية التواصلية، ومقاصدها الدلالية التي منها ذكر حق الخلافة، ووصف فضائلها، وما أحدثته من تغيير في واقع المجتمع الأندلسي، وفرض الطاعة لأمير المؤمنين الناصر لدين الله، والعناية بذكر أخلاقه، وسياسته في إطفاء نار الفتنة، وكسر شوكتها، ونشر الأمن والأمان، وإعلاء راية الحق، والعدل، والمساواة، ونبذ الجُور والظلم.

- يوصي البحث بدراسة النثر الفني الأندلسي عامة، والخطابة خاصة، وفق المناهج النقدية الحديثة؛ لما في ذلك من ثراء لغوي، يصور للقارئ العصر الأندلسي وواقعه، و ثقافة مجتمعه وغير ذلك.

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله الإشبيلي. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن مُحمَّد. ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي. تاريخ علماء الأندلس "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس"، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي . لسان العرب. تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ .
- بلخير، عمر. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- بول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرو، لبنان، ٢٠١٠م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين . كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- جودي، حمدي منصور. بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج(مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الأول، ديسمبر ٢٠١٣ م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- الحوفي،أحمد. فن الخطابـة. دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، د.ت.

- ختّام، جواد. التداولية: أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- دومينيك منغنو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت .لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ، دار المعارف، (سلسلة ذخائر العرب ٥٠)، د. ت.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- سيرل، جون. العقل واللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م.
- شلبي، عبد العاطي محمد. و: عبد المقصود، عبد المعطي. الخطابة الإسلامية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦م.
- صحراوي، مسعود. الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٤م.
- صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م.
- صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. د.ت.
- الضبّي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء. حلية الفقهاء. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

- مدلل، نجاح. التحليل النصي التداولي للخطاب الشعري (شعر عز الدين مهيوبي أنموذجاً)، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، د. ت.
- مدور، محمد. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة). رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، د. ت.
- المقري، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- نحلة، محمد أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية، مصر ، ٢٠٠٢م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. تحرير ألفاظ التنبيه. تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.